دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	المشاكل الإجتماعية و علم النفس
المصدر:	مجلة علم النفس
الناشر:	جماعة علم النفس التكاملى
المؤلف الرئيسي:	البارودى، واصف
المجلد/العدد:	مج 3, ع 3
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1948
الشهر:	فبراير
الصفحات:	343 - 348
رقم MD:	523884
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	المشاكل الإجتماعية ، الإضطرابات النفسية ، القيم الأخلاقية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/523884

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

المشاكل الاجتماعية وعلم النفس

بقلم الأستاذ واصف البارودى
مفتش بمديرية المعارف — بيروت

تتعقد الحياة وتكثر مشاكلها ، بنسبة متصاعدة مع تقدم الحضارة ؛ فينشأ العراك الهائل بين الفرد والمجتمع ، وتتعدد المذاهب الاجتماعية التى تعبر عن يقظة أنانية الفرد وجموحها ، وثورة المجتمعات التى تعمل للتحرر من استعباد تلك الأنانية ، وضغطها ، لإشباع نهم فى النفس ، أو شهوة توسع فى الرفه والزهو والاستئثار .

ولا جدال فى أن الحضارة فى تقدمها ، وفى اتساع آفاقها ، تكثر من حاجيات الأفراد ، وضروريات المجتمعات ، إذ يتحول ما كان كمالياً فيصبح ضرورة وحاجة ، وتزيد فى تنويع هذه الضروريات والحاجيات ، من مادية وفكرية وذوقية ، بمقدار ما تظهر الحضارة بوسائلها من مكنونات النفس البشرية فى شعورها[1] وميولها ، ونزعاتها وغرائزها .

ومن المسلم به أن زيادة الحاجيات ، ووفرة الضروريات والإفراط فى تنوعها ، تؤدى ، حكما ، لنزعة مادية طاغية تقضى ، رويداً رويداً ، على القيم الروحية ، التى بها تطمئن النفس ، وتتوثق الصلات من عائلية واجتماعية ووطنية وإنسانية ، بين أبناء المجتمعات .

ومتى استهتر الإنسان بالقيم الروحية ضعفت الصلات ، وانحلت الروابط ، فتنهار الحضارة ، وتفقد كيانها .

هذا ما قد وقع فى الماضى ، وهذا ما يحصل فى الزمن الحاضر ، وما قد يتم فى المستقبل ، إذا لم تتدارك الحضارة ، بوسائل الثقافة الصحيحة ، أمرها .

قلت ما قد يتم فى المستقبل ، لأن وجدان[2] الإنسانية أدرك الخطر ، وهو

---

(١) أقصد بالشعور ما يعبر عنه فى مصر بالوجدان .
(٢) أقصد به ما يعبر عنه بالشعور فى مصر .

بعد مالك زمام الأمر نوعاً ، فى هذا العصر ، وقد بلغت الحضارة أوجها ، وبدأ الطغيان المادى يتحكم بالناس ، مبعداً الإنسان عن القيم الروحية ومثلها العليا .

وإدراك الخطر يبعث على التفكير بدرئه ، وقد تحقق هذا عند ما بدأ العلماء يبحثون عن وسائل الإنقاذ من الانهيار . وقد وفقوا اليوم إلى الكشف عن وسائل لم تنتبه إليها الحضارات السابقة ؛ فالحضارة تحاول إنقاذ نفسها بنفسها ، لتستمر فى التقدم والانكشاف ، دون توقف أو اضطرار لتراجع أو إنقباض . وقد بدت تباشير إمكانيات النجاح بنهضة الشرق العربى ، واستعداده للتعاون مع الغرب على حفظ الحضارة والسير بها قدما للوصول إلى السلام هدف الإنسان منذ القدم . . . إذ لا تسلم الحضارة إلا بهذا التعاون بين الشرق والغرب . والسلام فى خطر ما دام الشرق شرقاً والغرب غرباً وما داما لا يلتقيان .

كانت الحضارة تفتك بذاتها ، فى العصور السابقة ، بما يتولد فيها من جراثيم ، فهل يقدر لها أن تنقذ نفسها بما تستطيع اكتشافه ، أو ابتكاره ، من علاجات وعقاقير ؟

نلاحظ تنبهاً عظيماً شاملا لما ينتاب المجتمعات من أمراض نفسية وأوبئة اجتماعية وانحطاط فى الخلق وضعف فى السجايا وانحراف فى الاتجاهات . وفى فؤاد(١) العلماء اليوم بواعث يوعز بها الشعور بالنهاية المحزنة المخزية ، إذا لم تتدارك الإنسانية نفسها بالعلاج . وما القنبلة الذرية وما قد تنتج معامل التدمير من أسلحة أشد فتكاً وهولاً سوى إنذار صريح بفناء أكثر عملا مما فعله الطوفان فى قوم نوح فى القدم .

اهتدى الإنسان ، فى بدء اضمحلال الروح الإنسانية وضعف القيم الروحية فى الحضارة الحاضرة ، إلى علوم نفسية واجتماعية وحيوية لم يوفق إليها إنسان الحضارات السابقة إلا فيما قد تراءى له من أشعة أنوارها ، لتكون نواة هذه العلوم فى عصرنا هذا .

فهل للحياة مأرب فى ذاك التنبه وهذا الاهتداء ؟ وهل أوحت بهما الحياة لتظهر عجيبتها الكبرى فى تحقيق السلام ، الذى عمل ويعمل له العلماء والمصلحون والأنبياء ؟ أم أن مبادىء هذه العلوم تهيأ لحضارة آتية ، تعقب هذه بعد انهيارها ، وتحقق السلام المنشود فى هذا العالم ؟

(١) أقصد به ما يعبر عنه باللاشعور أو اللاوعى

الجواب عن هذه الأسئلة فى عالم الغيب الآن . ولكن هناك فكرة تناقلتها العصور ، وهى فكرة انهيار الأمم بفساد أخلاقها . وهذه هى الفكرة التى أخذ بها أمير الشعراء فعبر عنها بقوله :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فما هى هذه الأخلاق ؟ وكيف تعمل على الإفناء والتكوين ؟ وأين تستقر أصولها ؟ وما هى بواعثها ؟ وهل هناك ما يؤثر فى معالجة أدوائها ؟

هذه وأمثالها هى النقاط الأساسية التى تستحق الدرس العميق ، وهذه هى المشاكل الأولى التى على حلها حلا عملياً يتوقف مستقبل الحضارة والإنسانية .

حاولت الحضارات السابقة حل هذه القضايا ولكن بطريق الفلسفة والأدب ، وكثيراً ما كانت الفلسفة تفلسفاً والأدب تأدباً ، فلم يكن منها ، وفى كثير من الحالات ، سوى رصف العبارات وترديدها ، وإيجاد التعاليل وسبكها ، والاكتفاء بالمقتضبات لبعض المناسبات . فلا غرابة إذا سيطر عليها الوهم والخيال ، واكتنفها البكاء والعويل !

وما صلح منها لم يكن له فى نفوس الأجيال ذلك التأثير الذى توخاه الباحثون ، لأنه كان وليد الحدس الذى يثب إلى الحقائق وثباً ، دون أى تحقيق علمى صحيح .

لذلك يحاول العلم اليوم ، ولأول مرة فى التاريخ ، أن يتغلغل فى أعماق النفس البشرية ليتفهم بواعث الميول وأصل النزعات ومنشأ الغرائز فى الأفئدة ، متخذاً منها مواضيع للدراسة لا تختلف فى روحها عن دراسات سائر المظاهر الطبيعية ؛ وهدفه إدراك نواميسها إدراكاً صحيحاً ، عله يستطيع إخضاعها لمصلحة المجتمعات والحضارة ، كما أخضع سائر القوى الطبيعية لمصلحته ، فيوجه قوى الإنسان فى الاتجاهات التى تحل معها تلك المشاكل ، فيصلح الإنسان وتسعد الإنسانية .

وهذا ما تريده اليوم المدرسة الحديثة ، إذ تستمد وسائلها من المبادئ العلمية ، بعد أن أصبحت التربية علماً ، يخضع فى مباحثه للأسلوب العلمى وتجاريبه واختباراته ، فبدأنا نسمع بعلم النفس التجريبى والايجابى ، والتربية التجريبية ، وبالدراسات الفنية لنفسية الأطفال والفتيان والرجال فى مظاهر الحياة المختلفة والمجتمعات المتعددة ، والأعمال المتنوعة ، كالثقافة ، والصناعة ، والجندية ، والسياسية ، والإجرام وغيرها وغيرها . . .

وأصبح للدراسات النفسية مقاييس علمية واختبارات فنية ، تساعدنا على أن نتفهم النفس الإنسانية فى جميع مراحلها وأحوالها ، تفهماً علمياً صحيحاً يمكننا من التأثير فى تقويتها وتوجيهها ، تأثيراً فنياً ، بعيداً كل البعد عن الحدس المجرد والعبث والتخمين ، وعن الأحكام المرتجلة ، مجملة أو تقريبية أو تكهنية .

فأصبح لعلوم النفس ، بهذه الاتجاهات الجديدة ، شأن كبير ، جعلها تأمل ، وبحق ، أن تحل يوماً مشاكل المجتمعات وتنظم الحياة فى العالم .

فإذا تأملنا فى مشاكل الحياة وشرورها ، تأملا واقعياً صحيحاً ، وحاولنا تعليل أسبابها تعليلا علمياً تجريبياً ، نجد ، مثلا ، أن كثيراً من الاضطرابات النفسية والشرور الاجتماعية تنشأ عن سوء التوجيه فى العمل الذى يختاره الشباب لكسب الحياة .

فجهل الآباء والمربين لحقيقة النواميس المسيطرة على النفوس ، وغرور الشباب وحبهم للحصول على الرفه والنعيم والمجد ، بأقل جهد ممكن ، يجعل اختيار المهنة منوطاً بما يلاحظ من نجاح القائمين بها ووفرة مواردهم ، أكثر مما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار من الأهليات والاستعدادات والإمكانيات جسمياً ونفسياً وخُلقياً .

فهذا يريد الوظيفة ، لأنه يخدع باعتبار الناس للموظف ، أو لأنه يعتقد أن هذا يضمن حياته ، حالا ومآلا ؛ وذاك يريد أن يكون طبيباً أو مهندساً أو محامياً مثلا ، لأنه عرف أن واحداً من هؤلاء ، أو أكثر ، قد أثروا ؛ وذلك يعمل فى أى صنعة كانت ، لأنه يريد أن يكسب خبزه وخبز عائلته ، فيختار ما تيسره له الظروف والأحوال . . . إلخ .

ولا يكون من هذا الاستهتار فى ولوج أبواب الحياة إلا ما نشاهده من وفرة عدد الذين ارتسمت أمارات الخيبة على وجوههم ، من أثر الصدمة التى عانتها نفوسهم ، لقيامهم بأعمال لم يخلقوا لها ، أو لأنهم لم يعرفوا كيف يشقون طريقهم فى الحياه ، إذ لم يهيأ لها ؛ وربما اضطر بعضهم أن يقبل استعباد الغير واستخدامه له ليقوم بأوده . . . حالات وحالات ينقم بسببها الخائبون الفاشلون على البشرية ، ويصبحون أعداء للمجتمع ، فيبيتون له ، ويعملون على الشغب والتشويش والتهديم ، بغية الانتقام وشفاء لما فى النفوس من ألم ، فتكثر المفاسد وتتنوع الشرور ، وتنحط القيم الروحية والخلقية ، ويسود مبدأ الغاية تبرر الواسطة ، بنسبة عدد اليائسين وكثرة العاطلين الفاشلين .

والأغرب من ذلك ، أنك قد تجد بين هؤلاء المفسدين للمجتمعات أناساً ساعدتهم الظروف على شيء من النجاح ، وربما على كثير منه ، بل وعلى تمامه ، وتراهم مع ذلك شاكين ناقمين ، لأن عمل كل منهم لم يملأ قلبه ، ولا يتفق مع ميوله . إذ لا يكفى أن يؤمن لنا العمل مالا أو وجاهة لنحصل على السعادة به ، بل يجب أن يملأ فراغ قلوبنا وتلافيف أدمغتنا ، لأنه العمل الذى نحب ، لا العمل الذى ألجأتنا إليه الصدف ، أو الحاجة ، أو الغرور ، أو ضغط الأهل والآباء ! . . .

وما نقوله عن الشرور الناشئة عن سوء التوجيه المهنى ، يصدق على ما نراه فى التوجيه الاجتماعى من انحراف فى الاتجاهات بسبب الدجل والتضليل والنفاق تحت ستار الدين والوطنية والإنسانية وما إليها . وما أكثر كلمات الحق التى يراد بها الباطل ! . . .

فهذه الاضطرابات النفسية والاجتماعية التى تهدد سلام العالم ، هى أشبه شيء بأعراض الهستيريا ، وقد أثبت علم النفس التحليلى أن التوصل لمعرفة أسبابها الخفية الحقيقية يكفى لإزالتها .

وهكذا يحاول علم النفس اليوم الوصول لمعرفة الأسباب الخفية ، الكامنة فى الأفئدة ، لجميع تلك الاضطرابات آملا أن تزول بظهور تلك الأسباب بصورة جلية يدركها كل إنسان ، فتنير معرفته لها سبيل السير فتستقيم اتجاهاته . ولعل هذه تكون أعظم خدمة يقدمها العلم للحضارة .

وما زلنا نقوم ، فى نهضتنا هذه ، بدعوة علماء النفس فى البلاد العربية للقيام متعاونين على دراسة نفسية الأفراد والشعوب عندنا دراسة علمية تتفق مع مبادئ العلوم الحديثة وقواعدها . لأن لكل أمة نفسيتها ، ولكل فرد مميزاته الروحية ، فلا جرم أنه وجب أن نقوم نحن بهذه الدراسات لأننا نشعر فى بلادنا بما لا يشعر به غيرنا ، وندرك من دقائق أحوالنا ما لا يدركه الأجنبى عنا ، مهما بلغ علمه وخلاصه وتجرده . نستفيد من القواعد العلمية العامة ، ومن المبادىء المقررة ، وقد ينفعنا استشارة علماء الغرب ومساعدتهم لنا ، ولكن لن نبلغ النتيجة إلا إذا عملنا نحن متعاونين تعاوناً علمياً صحيحاً .

بذلك نتقدم بشعوب البلاد العربية فتسير فى موكب الحضارة عاملة مع من سبقها فى الغرب على إيجاد عالم أفضل ، تزول فيه مظالم الشعوب للشعوب ، وتعدى الأفراد على الأفراد ؛ لأن التوجيه المقصود فى الدراسات النفسية هو الوصول

إلى الانسجام والاتساق والاتزان فى التفكير والشعور والنزوع ، ومتى تم ذلك استقر العالم واطمأنت النفوس ، إذ تحل المشاكل المعقدة ، وتتوثق روابط التعاون بين الأمم .

واصف البارودى